الوافد الأجنبي عبر الفضائيات ودوره في نشر القيم المعولمة

د/ رحيمة الطيب عيساني

أستاذ مساعد بكلية الاتصال، جامعة الشارقة

البريد الكتروني: raissani@sharjah.ac.ae

ملخص الدراسة بالانجليزية

The Study Attempts to Stand on the Effects(Impacts) of Imported programs in Arab Satellite Channels on the recipients, Especially in the area of changing the prevailing societal values and replace them with the values of global perspective imposed by the dominant forces on the inputs and outputs of the media work in the light of what has been termed the information revolution and global communities, and the globalized media environment.

الكلمات المفتاحية:

الفضائيات، البثّ الفضائي، تأثيرات البثّ التلفزيوني المباش، عولمة الإعلام والاتصال، القيم الاجتماعية، القيم المعولمة، الثّورة المعلوماتية، العزلة الاجتماعية.

مقدمة:

تجمع البحوث والدّراسات التي تناولت ظاهرة العولمة بالتّحليل والمناقشة على أن للظّاهرة قيما جديدة، تتوسل عديدا من الوسائل في ذلك لبثّها ونشرها ومحاولة التّأثير في الوعي العالمي، لإعادة صياغة العقول والأذواق وفق هذه الثّقافة، وفتح المجتمعات المحافظة، وإسقاط عناصر الممانعة والمقاومة والتحصين، وكذا إعادة صياغة قيم وعادات جديدة تؤسس لهوية ثقافية وحضارية أخرى لهذه المجتمعات. مهددة هويتها الحضارية، ومعاقل قيمها الثّقافية والاجتماعية. وذلك بتعظيم قيم الربح والتجارة، وسلعنة الأشياء والرموز والقيم على حساب الأخلاق الإنسانية التي من شأنها أن تحفظ الوجود للكينونة الإنسانية تعميرا للأرض، وخلافة لله(عز وجل).

وتبدو عديد من الآليات والوسائل منفذا قويا لنشر هذه القيم وتأثيرها على مجتمعاتنا، ذلك أنه لم يحدث في التاريخ أن أصبحت المناطق الثّقافية والحضارية بما في ذلك أكثر المناطق الثّقافية انعزالا، ورغبة في الانعزال منفتحة ومتكشفة بفضل هذه الآليات والوسائل خاصة وسائل الإعلام منها، بقدر ما هي منفتحة حاليا ويظهر ذلك جليا في:

- ✓ الحرية الكاملة لانتقال المعلومات والبيانات والاتجاهات والقيم والأذواق على الصعيد العالمي، وبقدر أقل من العراقيل والقيود والضوابط. وإن لمثل هذا التبادل الحر للأفكار والمفاهيم عبر الثقافات أثره في بروز اهتمامات وعادات وأذواق وآمال وأهداف وربما عقليات مشتركة لا تعبر عن ثقافة محددة بل عن مجموع الثقافات الحية في العالم.
- ✓ بروز المساعي من أجل تقارب الحضارات وربط الثقافات وتعزيز الهوية العالمية الذي من شأنه أن يخلق عالما بلا حدود ثقافية، وانتقال تركيز اهتمام ووعي الإنسان من المجال المحلي إلى المجال العالمي.
- ✓ فقدان الدول القدرة على التحكم في تدفق القيم والأفكار والقناعات فيما بين المجتمعات والأجيال وفقدانها السيطرة على التداول الحر للأخبار والمعلومات عبر وسائل وتقنيات جديدة.

فما من شك في أنّ العولمة الإعلامية والاتصالية لم تمس المؤسسات الإنتاجية ولاتكنولوجيا الإعلام والاتصال فحسب، بل طالت بتبعاتها أيضا نظم القيم وأنماط التفكير، وطرق العيش، وكيفيات الكينونة، وكانت وراء ما يسمى بهيمنة الفكر الواحد والعقيدة الواحدة والتفكير الواحد، ولنقل-في ارتباط وثيق بإشكالية كبرى-المعرفة الواحدة سبيلها في ذلك تراجع أدوار الدّولة والتشريعات الوطنية، وظهور مؤسسات فوق-وطنية، وتعميق دور الموجودة منها، وسيطها في ذلك غزو الثقافات تمهيدا لغزو الأسواق، ويظهر ذلك في:

- أنّ معظم القنوات الفضائية خاصة الأجنبية منها تعظم نمط الاستهلاك والإنتاج الغربي، وتجعل من اللّغة الوسيط الأمثل لتكريس هذا النمط.

- إجبار الفضاءات الأخرى ترغيبا للخضوع لمنطق الأقوى؛ فأكثر من (95 %) من معطيات الانترنيت باللّغة الإنجليزية؛ في مقابل (3,25 %)للألمانية و(2,25 %) للفرنسية،

وأقل من(1%) للّغات"الغربية" الأخرى[1]، وبالتالي القراءة أوالكتابة فعليه التواصل بالإنجليزية، وخير مثال على ذلك أن أي بحث أو دراسة أو كتاب ترشح لجوائز عالمية يجب أن يترجم إلى الإنجليزية.

وهكذا فالعولمة الإعلامية وتكنولوجيا الإعلام والاتصال؛ وإن خدمتا المعرفة(توفير معطيات، قواعد بيانات، تقارير، محاضرات ودراسات لكل المرتبطين بالشبكات) فإنها توظف "الفضاء المعرفي العالمي"؛ الثّقافة أساسا كوسيلة لا كهدف، وسيلة للوصول إلى الأسواق، وتكريس منطق الربح الرأسمالي.

وإن العولمة في جوانبها الثّقافية لم تبرز كحقيقة حياتية إلا خلال عقد التسعينيات، ولم تتمكن بعد أن تجاري في تجلياتها وتطبيقاتها أرض الواقع التجليات الحياتية والسلوكية والتطبيقات المادية والمؤسساتية للعولمة الاقتصادية، والعالم اليوم ليس موحدا ثقافيا، كما هو موحد تجاريا وماليا. كما أنه لا وجود لنظام ثقافي عالمي كما يوجد نظام اقتصادي عالمي، لذلك ونتيجة للغموض الذي يحيط بالعولمة في جوانبها ومظاهرها الثّقافية فإن دول العالم التي تتدافع وتتنافس للأخذ بسلع وخدمات ومنتجات العولمة الاقتصادية، تبدو أقل اندفاعا وإقبالا، وحتما أكثر ترددا وتمهلا في اندفاعها نحو مفاهيم وقيم وأفكار العولمة الثّقافية، بل وأكثر حزما في مجابهة الوافد الثّقافي عبر الفضائيات وشبكات الاتصالات والمعلومات.

وقد ثار جدل كبير حول الطبيعة التي سوف تكون عليها العلاقات بين الثقافات والحضارات المتقاربة في ضوء العولمة. هل العولمة سوف تساعد على انفتاح الثقافات بعضها على البعض الآخر وتعارفها ممّا يساعد على الدخول في علاقات تعاون وحوار؟أم أنّه سوف يؤدي الانفتاح المتزايد بين الثقافات إلى دخولها في صراع يهدد السلام والاستقرار في الحضارات؟كذا مدى قدرة سكان هذه الحضارات على التعامل مع التعددية الثّقافية والحضارية التي توفرها العولمة؟

فالسّعي من أجل تقارب الحضارات وربط الثقافات وانفتاحها على بعضها البعض ومحاولة تعزيز الهوية الوطنية، وربما محاولة خلق عالم بلا حدود ثقافية هو مجرد وجه واحد من الوجوه العديدة للعولمة الثّقافية. ذلك أنه بقدر ما يسعى التوجه العام نحو قارب الثقافات وانفتاحها، فإنّ العولمة الثّقافية يمكن لها أن تتجه نحو صراع الحضارات، ونحو الهيمنة الثّقافية لثقافة واحدة على سائر الثقافات، ونحو نشر الثّقافة الاستهلاكية وجعلها الثّقافة الأكثر رواجا على الصعيد العالمي. فالعولمة الثّقافية التي تمهد الطريق حليا لترابط المناطق لثقافية بإمكانها أيضا أن ترسّخ انقسام العالم إلى مناطق حضارية مغلقة، وتزداد انغلاقا، وتستعد لمواجهة بعضها البعض.فمع انتهاء الحرب الباردة، واختفاء الصراع الأيديولوجي بين الشرق الاشتراكي والغرب الرأسمالي، والذي خيّم على العالم لحوالي نصف قرن، أصبح الانقسام الحضاري والثّقافي أكثر وضوحا من أي وقت آخر. كما أنه ازداد الحديث خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين عن احتمال صراع الحضارات خاصة في نقاط

التقاء المناطق الحضارية الكبرى التي يذكرها هنتنغتون في كتابه حول صراع الحضارات وتكوين النّظام العالمي الجديد[2].

وإن ثقافة عصر البثّ الفضائي المباشر لاتعترف بالحواجز لأن البعد الثّقافي لعولمة البثّ وفعالياتها الخاصة ألغت المسافات عن طريق الأقمار الصناعية، التي تتيح للأفكار عبور الحدود بصورة متزايدة وبشكل أسرع وأضمن من أي وقت مضى وتستهدف هذه الثّقافة تنميط الذوق وقولبة السّلوك، وتكريس نوع معين من الاستهلاك لأنواع معينة من الثّقافة والمعرفة تتسم جميعا بالضحالة والسّطحية والإثارة[3].

أولا: العولمة الاتصالية وفرض النّموذج المعولم للثّقافة

ومصطلح العولمة الاتصالية لم يعد مفهوما مجردا-كما يتصوره البعض-بل هو حالة يعيشها الفرد في كل مكان. نظام يراد فرضه على العالم اعتمادا على التقنيات الإعلامية والثّقافية المتطورة جدا، فمثلما توجد إعادة ترتيب سياسية واقتصادية للعالم، فهناك أيضا صياغة جديدة للعالم على المستويين الإعلامي من جهة والثّقافي من جهة أخرى. ومن المؤشرات التي تنبئ بانطلاقة هذا التوجه نحو تثبيت ثقافة معولمة[4]:

1. التّنافس الرهيب في مجال المعلوماتية، وشبكات الإنترنت ومحطات الإرسال التلفزيوني وما تبثه من أفلام وأشرطة ثقافية ذات أهداف وغايات مقصودة بلغات معينة ومحدودة، مما يحاصر كثيرا الثقافات واللغات القومية.
2. العمل على إنتاج ثقافة استهلاكية(موسيقى الراب، لباس، أكل، سلوك، أفلام...) تخدم النّظام العالمي الجديد، وتوجه المقومات الأساسية للدول المختلفة، وتقلص من خصوصيتها، وبخاصة الدول غير القادرة على الإنتاج الثّقافي المتميز بلغتها الرسمية مما يسهل استتباعها حضاريا إلى الغرب المنتج لمثل هذه الثّقافة.
3. محاولة إضعاف اقتصاديات بعض الأمم من أجل تقزيم حضارتها وإضعاف لغاتها مع تشجيع الأقليات اللغوية ودفعها إلى خلق صراعات داخلية، كما هو الشأن في الاتحاد السوفيتي(سابقا)والعراق والجزائر وغيرها.
4. التّأثير في تاريخ الأمم؛ بالسّعي إلى طمس التراث الثّقافي الأصيل للأمة ومحاولة تشويهها، وذلك وفقا لنظرية الحتمية اللغوية التي قال بها الفيلسوف الألماني"ولهالم همبولت W.Houmboldt(1767–1835)ثم آثارها اللغوي الأمريكي "إدوارد سابير"ESapir سنة (1929م)،حيث ترى هذه النظرية أن الناس إنما هم تبع في تفكيرهم وإحساسهم ومشاعرهم ونظريتهم إلى الكون،للعادات التي اكتسبوها من خلال ممارستهم للغة قومهم.
5. استغلال صدمة الحداثة من أجل تحقيق العولمة وتصدير ثقافات معينة بوسائل متطورة إلى شعوب لاتقوى على مواجهتها مما يؤدي في النهاية إلى الاستسلام والتقاعس، يقول

العالم البلجيكي مارك رشال(Marc Richelle)" في الاصطدام الثّقافي سقما حقيقيا ينتاب الثّقافة المصدومة.

ويتضح من هذا أن المعركة في المجال الثّقافي نوع من الغزو والاستعمار الطوعي، يمارس على كل أمة بفضل برامج فضائية معدة مسبقا لهذا الغرض، من أجل إضعاف المقومات الحضارية للأمم، وجعلها قابلة للاستتباع، إذ تؤكد الشواهد التاريخية على أن فناء الأمم والحضارات نادرا ما يكون بسبب الإبادة الجسدية عسكريا أو بسبب الانتماء السياسي أو اختلاف الأجناس، وإنما يكون بسبب اختفاء ثقافتهم ولغاتهم.

أي نعم أن الثّقافة لاتتطور بانغلاقها على نفسها، كما يشير تقرير اليونسكو–داخل قوقعتها، وإنما تتطور بالتبادل الحر مع الثقافات الأخرى والحفاظ على الصلة بكل قوى التقدم الإنساني، بيد أن التبادل الحر لابد أن يكون أيضا على قدم المساواة وقائما على أساس الاحترام المتبادل فصحيح أن تعدد قنوات الإرسال الذي أتاحته التوابع الصناعية للبث المباشر إلى تنوع الأهداف والمشاهدين والمستمعين، بيد أنه من خلال اشتداد المنافسة فقد أدى هذا التعدد إلى توحيد نمط المحتوى كما أدى على الصعيد الدولي إلى زيادة حدة التبعية الثّقافية بزيادة البرامج المستوردة.

6. تراجع دور الدّولة الإعلامي والاتصالي: فالثورة الهائلة في مجالات الاتصال والمعلومات والإعلام حدّت من أهمية حواجز الحدود الجغرافية. وإذا كان بمقدور بعض الدول أن تحد في الوقت الراهن وبصورة جزئية من التدفق الإعلامي والمعلوماتي القادم إليها من الخارج، فإن هذه القدرة سوف تتراجع إلى حد كبير وقد تنعدم في المستقبل، كما أن توظيف التكنولوجيا الحديثة في عمليات التبادل التجاري والمعاملات المالية يحدّ من قدرة الحكومات على ضبط هذه الأمور، ممّا سيكون له تأثيره بالطبع على سياساتها المالية والضريبية[5].

وهكذا فإن قدرة الدولة على ممارسة سيادتها على إقليمها بالمعنى التقليدي بدأت تتغيّر في ظل تحوّلات عملية العولمة التي يشهدها العالم. فهذه التحولات تفرض قيودا ومحدّدات على قرارات الدول وسياساتها من ناحية، كما أن قدرات الدول على التحكم في عمليات التدفق الإعلامي والمعلوماتي والمالي عبر حدودها تتآكل وبصورة متسارعة من ناحية أخرى. وهو مادفع البعض إلى التساؤل عن مستقبل الدولة القومية في ظل هذه التحولات[6].

وجدير بالذكر أن: دول العالم الثالث تعتبر في معظمها هي الأكثر تأثرا بهذه التحولات، وذلك نظرا لاعتبارات عدة منها: ضعف وهشاشة أجهزة الدول، وعدم رسوخ مؤسساتها في عديد من الحالات، وتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية مع تناقص تآكل قدرات الدولة على التصدي لها، ناهيك عن تدني القدرات التكنولوجية للعديد من الدول، وضعف إمكانات أطر التعاون الإقليمي فيما بينها.

ولكن على الرغم من القيود التي تفرضها عملية العولمة على الدولة القومية والتي تحدّ من قدرتها على ممارسة سيادتها بالمعنى التقليدي، وعلى الرغم من أنّ الدولة لم تعد هي الفاعل الوحيد أو الأقوى في النّظام العالمي، إلا أنّه يوجد ما يدل على أنّ هذه التحوّلات ستؤدّي إلى إلغاء دور الدولة أو خلق بديل لها، حيث سيبقى للدولة دور مهمّ في بعض المجالات. وخاصة في بلدان العالم الثالث. ولكن من المؤكّد أنّ تغييرا قد حدث-ويحدث-في طبيعة دور الدولة وأساليب ممارستها لهذا الدور، خاصة في مجال السيادة الإعلامية والتدفق المعلوماتي.

إذا فهناك ثمة تراجعا في الأدوار والصّلاحيات الإعلامية الاتصالية للدولة، مع اتجاه متزايد نحو تخلي الدولة عن ملكية أو دعم وسائل الإعلام والاتصال، مع تسارع الدعوة إلى خصخصة وسائل الإعلام؛ وهذا انطلاقا من أنّ آليات السوق ومدى إقبال الجمهور على وسائل الإعلام-بغض النظر عمّا تقدمه من مضامين وصور-ستقود إلى تطور وسائل الإعلام والاتصال، وستكون المنافسة بين وسائل المنافسة بين وسائل الإعلام في مصلحة الجماهير. وهذا التراجع سيتسبب في الكثير من المشكلات والتي أهمها:

- ✓ أنّ بيئة النّظام الإعلامي الدولي تتحول من الدول كأطراف فاعلة بشكل رئيسي إلى الدول والشركات الإعلامية متعددة الجنسيات، ثم بفارق كبير أيضا مؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقات والأنشطة عابرة القومية، ومثل هذا التحول في الأطراف الفاعلة في النّظام الإعلامي الدولي ربما يفتح المجال لمراجعة كثير من مفاهيم ونظريات الإعلام والاتصال الدولي بشأن الإعلام الدولي والإعلام المعولم.
- ✓ أنّ الوظيفة الجديدة التي بدأت تتلبسها الدولة المحلية وتتبناها، لم تعد معها فاعلا أو حكما لا في إنتاج وإعادة إنتاج القيمة الإعلامية ومضامينها على المستوى الدولي فحسب، بل وعلى صعيد المنافسة الدولية أيضا، بحكم تصاعد أدوار الفاعلين الجدد(الشركات متعددة الجنسيات، مؤسسات المجتمع المدني).
- ✓ ثم إنّ كثيرا من قوانين ونظم الرقابة على تدفق المعلومات عبر الحدود القومية أضحت مجرد نصوص فارغة لا معنى لها، ولا تأثير حقيقي لوجودها، كما أضحى مبرر احتكار الدولة لسلطة تنظيم بيئة الاتصال والمعلومات أمرا ينتمي للماضي البعيد، لا الحاضر أو المستقبل، فقد كانت الدولة تتدخل في حقل الإعلام لمنع الاحتكار ولاستخدام الإعلام في أدوار اجتماعية، أما اليوم فإن انفجار منافذ وسائل الإعلام وأدوات التوصيل قضى على شرعية فكرة التنظيم العام ذاته.

ثانيا: الفضائيات البيئة الحاضنة للقيم المعولمة

عندما نطرح مشكلة عولمة البثّ الفضائي والتّدفق الإعلامي من خلال الفضائيات، والتّأشير على سلبيات وأخطار البثّ الوافد، لايقصد بذلك تخويف المتلقي من هذه القنوات بقدر مايهدف إلى ضرورة بناء مبادئ واضحة ومعايير محددة للتعامل مع هذا البثّ وتحصين المشاهد لمواجهة التدفقات الإعلامية الوحيدة الطرف والاتجاه من الشمال إلى الجنوب؛ من الدّول المتقدمة إلى النامية، وتوعية المشاهد بالأخطار الناجمة عن ذلك، وضرورة تسليحه بالقدرة على الفرز والنقد والتحليل والاختيار ممّا يبث لنا، مع إعداد أبنائنا الإعداد التربوي السّليم لمواجهة هذا الوافد الجديد.

فما يقدم في الفضائيات هو تراكم كمي للمعلومات؛ يخاطب العين بدل العقل، ويجعل من الثّقافة سلعة، ولابد من الاعتراف بأنّ فئة الشباب هي أكثر فئات المجتمع تأثرا بعمليات الغزو الثّقافي نتيجة للانفجار المعرفي الهائل، وتطور البثّ الفضائي المباشر، إذ تركّز القنوات الأجنبية الوافدة، خاصة الغربية منها على أفلام العنف والبرامج المثيرة للجنس، وضخ كم هائل من مخلفات الثّقافة الغربية.

والبثّ الفضائي من خلال أقمار الاتصال، يمكن أن يؤثر على نمط حياة الجمهور المتعرض له، لاسيما وأنّ هناك فروقا كبيرة بين الدّول فيما يتصل بالنتاج الإعلامي الذي تقدمه الوسائل التي تملكها، وهذا يعني أن التطور الحاصل في تكنولوجيا الاتصال يحمل أيضا نقاطا سلبية، ولهذا فإن القنوات الأجنبية الوافدة تقوم بنقل الرسالة الإعلامية إلى أنحاء العالم؛ تعمد بشكل مباشر إلى نقل رسالة إعلامية تتكيف مع رغباتها وأهدافها، وأفكارها، وحين تتحول المادة الاتصالية إلى سلعة تجارية فإنها تركّز على ثقافة غير ملتزمة بالقيم والأفكار والذوق، وتهدف إلى المتعة والتسلية لدى الفرد.

والاتصال الفضائي الوافد كثيرا مايفصح عن أنّ العوامل الوسيطة تقل فاعليتها إلى حد كبير في هذا النمط من أنماط الاتصال، الأمر الذي يجعل من احتمالات التّأثير السّلبي للقنوات الأجنبية واضحا، إذ أنّ مايقلل من قوة العوامل الوسيطة يتمثل في تيسّر التعرض للقنوات الوافدة عل مدار اليوم، وتعدد القنوات الوافدة، وقوة طرق تقديم المواد التلفزيونية، وجاذبيتها، وجدة الموضوعات وحيويتها، وضعف مستوى المواد التلفزيونية المحلية، فضلا عن عوامل لاعلاقة لها بتلك القنوات، بل هي ترتبط بواقعنا الاجتماعي؛ منها ضآلة مجالات الترويح والنشاط الاجتماعي في أوقات الفراغ، وشعور المواطن العربي بالقلق إزاء مستقبله[7].

ثمّ إنّ التعرض لنوع معين من أنواع الاتصال سيسهم بشكل مباشر في ترسيخ المفاهيم القابلة للترسيخ لدى المتلقي، ولعلّ عامل التشويق، وسهولة الحصول على المعلومة من خلال القنوات الفضائية الوافدة، ومتعة المشاهدة؛ يمكن أن تجعل من المشاهد مشاهدا طيعا لما يحتويه البثّ الأجنبي الوافد من أفكار مبطنة بستار العولمة الإعلامية، فهي تساهم في الترويج لقيم غير مرغوب فيها؛ أوتنمية اتجاهات سلبية أوعادات سلوكية ضارة بالتنشئة الاجتماعية الصحيحة، ومشاهدة هذه القنوات التي تبث برامجها بأساليب الإثارة والتشويق بشكل مفرط، غالبا ماتؤدي إلى إضعاف إرادة الأفراد؛ فهذه البرامج قد تمثل المتنفس للهروب والابتعاد من مشاكل الحياة وهمومها، ولكنها تخاطب مشاعر الحرمان عند كثير من الأفراد مثل: أفلام الجنس والعنف التي تتنافى مع القيم والمبادئ الأخلاقية لمجتمعاتنا.

وهكذا يصبح البثّ الفضائي الوافد مصدرا جديدا لإنتاج وصناعة القيم والرموز وأدوات تشكيل الوعي الإنساني والوجدان والذوق، ويقدم ثقافة معلبة الصنع، تتضمن منظومة من القيم تدور حول تشجيع النزعة الاستهلاكية، وغرس قيم الأنانية والفردية والرّوح النفعية. ولعلّ أهم مايسجل من سلبيات على البرامج الوافدة في مجال نشر القيم

العولمية الجديدة والتي تتوسل عديدا من الوسائل لتقتحم المجتمعات المستهلكة لمعلبات العولمة الثّقافية خاصة من خلال شاشات الفضائيات الأجنبية والمحلية على حد سواء مايلي:

1. خلق الاضطراب الاجتماعي وعدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية التّقليدية

فقد أسهمت كثير من الفضائيات بمضامنيها التي تتخطى نسبة المستوردات فيها الـ(70%) في زعزعة الاستقرار الاجتماعي، في العديد من المجتمعات، وقد تجلّ ذلك في تقويض أركان النظم الاجتماعية، وضعف درجة الالتزام بالمعايير والأنماط الاجتماعية من جانب أعضاء هذه المجتمعات. وإذا كانت أسس الالتزام بقواعد النّظام الاجتماعي تتمثل عادة في[8]: الاقتناع أوالعقيدة(la Croyance)، الإكراه أوالإجبار(la Contrainte)، المصلحة(L interet). فإنّ آثار برامج الفضائيات الأجنبية خاصة الغربية منها قد طالت كل من هذه الركائز الثلاثة[9]:

-فعلى مستوى عنصر الاقتناع أوالعقيدة، والذي يقصد به اقتناع المحكومين بشرعية السّلطة وصلاحيتها كسلطة للأمر، وكذا بشرعية ما تفرضه من معايير وضوابط وأنماط كأساس للالتزام الطوعي بها من جانب المحكومين، فيمكن تلمس هذه الآثار (السّلبية)على شرعية العديد من النظم السياسية، وعلى مصداقية المؤسسات السياسية الحاكمة في العديد من الدّول، وكان مردّ ذلك إلى إدراك هذه الشعوب عجز حكوماتها عن إيجاد الحلول الفعالة لمواجهة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، وكذا عجزها عن تلبية الاحتياجات والمتطلبات المتزايدة لشعوبها وعن توفير الرعاية الاجتماعية والشعور بالأمن لها، ذلك فضلا عما يترتب على ذلك من اهتزاز أواختلال في منظومة القيم في العديد من المجتمعات، تلك القيم التي كان الإيمان بها والاعتقاد في صحتها يمثل واقعا رئيسيا وحافزا للشعوب الالتزام بقواعد النظم الاجتماعية؛ إذ تشير الملاحظة في كثير من البحوث والدراسات العلمية والأكاديمية إلى تراجع قيم الالتزام والاجتهاد والإتقان في العمل والتسامح والتعاطف والمساواة والعدالة واحترام الكبار والتواضع ومراعاة التقاليد والأعراف بينما تصاعدت مواقع قيم أخرى سلبية في هرم أوتدرج القيم كالانتهازية والتحايل والتعصب والتطرف والمحاباة ونزعة التملك والتفاخر والتمرد والتعالي.

كذلك فقد فقدت المؤسسات السياسية الحاكمة والأعراف الاجتماعية المنظمة لطبيعة العلاقات الاجتماعية في العديد من الدّول مصداقيتها في مجال العمل من أجل الخير العام،وتوجيه المجتمع نحو الأفضل والأحسن.

– وعلى مستوى عنصر الإكراه أوالإجبار، فنجد أنّ الحكومات-في عصر عولمة البثّ الفضائي، وتخطّيه للزمان والمكان-قد باتت مكبلة الأيدي،غير قادرة على فرض النّظام بشكل حازم أوصارم اعتمادا على الأساليب التقليدية في مجال الإكراه الاجتماعي.

وحتى على مستوى منع البثّ الوافد بشتّى الطرق والأساليب فقد فشلت كثير من الحكومات والدّول في هذا المجال بسبب التكنولوجيات العالية التي يتمتع بها البثّ التلفزيوني، الذي تعدى التشريعات والقوانين.

– أمّا على مستوى عنصر المصلحة فنجد أنّ الحكومات في كثير من دول العالم الثالث المستقبل للبث الفضائي الوافد خاصة لم تعد قادرة بحكم تراجع قدرتها على السيطرة على المتغيرات الاقتصادية أوالتحكم في الموارد الاقتصادية لمجتمعاتها-على أن تقدم الحافز الذي يدفع المواطنين إلى الانصياع لأوامرها وقراراتها بعامل قوة المكافأة(Power of Reward) لديها، ومن ثم لم يعد الالتزام بقواعد النّظام الاجتماعي-الذي تسهر الحكومات على إعماله - يحقق أي مصلحة حقيقية للمواطن، وبعبارة أخرى يمكن القول: إنّ الحكومات قد تراجعت قدرتها على تحقيق الضبط الاجتماعي(Social Control) الرسمي بشقيه الإيجابي الذي يعتمد على الترغيب، أوالسّلبي الذي يعتمد على الترهيب.

وهكذا فقد أضحى عصر المحطات الفضائية؛ يعني أساليب حياة جديدة، وقيم أخرى تستمد من مقتضيات التكنولوجيا الحديثة ومن تطور صانعيها، انطلاقا من المبادئ الأخلاقية التي ورثوها ونشأوا عليها، فهي تستهدف جعل المشاهد إنسانا سلبيا جانحا إلى الاستسلام، فضلا عن ظهور معتقدات متطايرة غير ثابتة، وخلق وضع تصبح فيه المشاعر الذاتية أكثر أهمية من الالتزام الجماعي بأي مشروع للنشاط أوالتنظيم الاجتماعي.

فقد أكدت دراسة أصدرتها جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا في الإمارات العربية المتحدة أنّ برامج الفضائيات ساهمت وتسهم في"تعميق الانحراف الاجتماعي وتدمير قيم الشباب الإيجابية وهويتهم الثّقافية". كما لاحظت دراسة (الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي؛ دراسة تحليلية لبرامج الفضائيات العربية)أنّ القاسم المشترك لبرامج الفضائيات العربية؛ المادة الترفيهية، وأفلام العنف والرّعب والجنس،"أي أنّ ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر" مسببة (ظاهرة سلبية تتمثل بالاغتراب، والقلق، وإثارة الغريزة، والفردية والعدوانية، ودافعية الانحراف، وسلطة المال والنساء، وحب الاستهلاك، والأنانية والتمرد"وأشارت الدّراسة إلى أنّ هذه المفردات تؤثر على إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم، بحيث تتحول من صورة ذهنية إلى نشاط عملي، عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطويع الاجتماعي".

وحول المشكلات الاجتماعية المتوقع أن تنشأ بسبب تلك البرامج حذرت الدّراسة من أنّه:"من المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكية، والهروب من التصدي لواقع الحياة والاستسلام له، وتوطين العجز في النفوس، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمها، وتعميق المشاعر الذاتية أكثر من الالتزام الجماعي، والانبهار بالموديل الأجنبي على حساب الهوية، وكذلك تراجع الانتماء وازدياد اليأس والإحباط".

2. النزوع نحو الفردانية وقتل الإحساس بالجماعة

والروح الفردية هي ميل الأفراد للعناية بشؤونهم وشؤون أسرتهم فقط، وتقابلها الروح الجماعية والتي تعني ميل الأفراد إلى الانتماء إلى مجموعات أو تنظيمات جماعية، وإلى أن يرعى بعضهم شؤون بعض.

فكثيرا من برامج الفضائيات تشجع على النزعة الفردية، وقيم الرّبح السّريع على حساب القيم الأسرية وتماسك العائلة ومبدأ القناعة والتضامن والتآزر في المجتمع، فتتحول الصراعات من المجتمع والحيز السياسي والاجتماعي إلى قلب المنظومة الأسرية، وتتوقف كل أشكال الصراع في العالم على الصراع من أجل البقاء والانتصار المادي، والبطولات الفردية، وهذا سيؤدي بكثير من المشاهدين إلى[10]:

- الغلو في اللامنطقية وإلغاء العقل في فهم الأشياء والعلاقات والأحداث، الذي تعمل له كثير من الأفلام العلمية والخيالية، مثل أفلام الفضاء، والصحون الطائرة،...
- تمجيد المغامرة الفردية والشعور بالعظمة الذاتية وقتل الإحساس بالجماعة.
- اختزال النجاح في الارتقاء عبر السّلم الاجتماعي، إذ تتغلب قيم النفعية والمصلحة الشخصية على قيم العلم والمعرفة والثّقافة، فتنتفي بذلك الأخلاق، وتعوضها المنافع والمعارف الوظيفية، فترتقي الإنسانية لاإلى مستوى التفكير المجرد والإلمام الثّقافي بكل جوانب الحياة، بل إلى مرحلة التفكير الوظيفي الحسي شبه الحيواني، وتصبح معقولية الظواهر ومشروعية استفحالها في المجتمعات معللة بمجرد انتشارها، لاكنتيجة لاختيار مفكر فيه، فيصبح الانسياق والمحاكاة والتشابه دليل ذكاء ومعرفة ونجاح، ومصدر الحجة والبرهان، وتصبح شرائح الشباب والمراهقين والأطفال والكهول لاحقا مجرد قطعان تسير في ركب حقيقة السّائد.
- تغيير الوعي بعاملي الزمان والمكان، واهتزاز أركان كل القناعات-على مر الأيام- التي كانت سائدة لدى الشعوب والأفراد، فتسهل عملية المسخ والاستبدال، وإعادة التركيب على أسس جديدة وفق ما ترسخ في عقول الأجيال الناشئة من مفاهيم وقيم جديدة تتكرس بالممارسة في الواقع

المعيش للمجتمع، ويستحيل بعدها العود إلى قيم تكون قد زالت واندثرت، وتطغى السّطحية والزيف وأحلام البطولات الوهمية وأوهام الحرية شبه الحيوانية.

3. خلق السّلبية والجنوح إلى الاستسلام؛ والانسحاب من الواقع

تشير بعض الدّراسات التي أجريت حول التلفزيون وآثاره السّلبية على المشاهدين إلى أنّ التلفزيون مثله مثل المخدرات أوالكحول يتيح للمشاهد محو العالم الحقيقي والدخول في حالة عقلية سارة وسلبية فصنوف القلق والهموم الواقعية تؤجل فعليا عن طريق الاستغراق في برنامج تلفزيوني مثل ما يحدث عبر القيام برحلة تحت تأثير المخدرات أوالكحول.

كما يحاول مدمنوا الكحول-وعلى نحو مبهم-إدراك إدمانهم، وأنّهم يتحكمون في شرابهم أكثر ممّا يفعلونه حقيقة، يبالغ الناس بالمثل في تقديم مدى تحكمهم في المشاهدة التلفزيونية، وحتى حين يؤخرون نشاطات أخرى من أجل تمضية ساعة بعد ساعة في المشاهدة، فإنهم يشعرون بأنّ في الإمكان استئناف حياتهم بسهولة بأسلوب مختلف وأقل سلبية[11]. تقول-في الصدد-ليليان لورسا:"عندما يقتحم التلفزيون أوقات الفراغ وأحلام اليقظة، فإنّه يحدث خللا في نمو الخيال"[12]، فقد تخلق السّاعات المتتالية أمام التلفزيون الميل نحو السّلبية في التفكير والإبداع، وتربط المشاهد بأفكار الآخرين وإبداعاتهم، فتقوى عنده منحنيات التقليد على التفكير والإبداع الذاتي. ويقول مارتن جروتيان:" إنّ معنى الحياة التلفزيونية أننا لا نحيا حياتنا، وإنما يحياها التلفزيون لنا، فنحن نعيش على شاشة التلفزيون، ونستسلم لها دون أن نفعل شيئا سوى الإنصات بلاحراك، فالتلفزيون يعيش لنا ويفكر لنا، ويرى لنا ويسمع لنا ويعطينا الحلول الجاهزة المطلوبة، وهو بذلك يعطّل قوى الفكر، ويعوق تطور الشخصية واستقلالها، فالناس لا يتمكّنون من تكوين آرائهم وبلورة أفكارهم". ويتفق"باركر" و"لايل" و"شرام"على أنّ: التلفزيون يؤدي إلى الانسحاب من الحياة الواقعية إلى العزلة والتفاعل مع شاشة العرض التي يستسلم لها المشاهد، ويمتص ما تقدمه له، ويتشرّب ما تتضمنه من قيم، فهي تستغرقه وتهيمن عليه[13].

ويؤكد الكثير من الباحثين أنّ كثرة مشاهدة التلفزيون تؤثر على فكر المشاهد فتضعف لديه ملكة التخيل، لأنه يقدم الصورة والفكرة مبعدا العقل ومحاولا شحذ الفكر، وتتباطأ العملية التحليلية الانتقادية، نظرا لضعف المضمون. هذا الفضاء الصوري للتلفاز يتسم بأنّه[14]:

- ✓ خلق فجوة الصورة التي تظهر على الشاشة والصورة التي يتلقاها المشاهدون في مقامات مختلفة كما يقول "أمبر توايكو"، فالرسالة التلفازية رسالة هدفها تحقيق إغلاق أيديولوجي يتعلق بمقصديه المرسل الذي يسعى إلى"نرى العالم من خلال أعين السّلطة،.. والمطلوب منّا أن نؤمن

بدون جدال بأننا نرى الواقع الموضوعي الذي يماثل (الحقيقة الرسمية للسّلطة) وبعبارة أخرى أن مايقدمه الفضاء الصوري للتلفاز ليس إلّا حقيقة شوبنهاورية تدفع للتأكيد أنه لا حقيقة ثانية غير الحقيقة في هذا الفضاء "فنحن ننظر إلى العالم الخارجي من خلال الصورة التي يتركها فينا، ومن خلال الانفعالات التي يثيرها العالم الخارجي في أنفسنا كما يقول "شوبنهور"[15] وأيّة نشرة أخبار في أي محطة أوشبكة تلفازية توضح ذلك.

- ✓ استبدالية الصورة، فالفضاء الصوري التلفازي يعمل على استبدال صورنا الشخصية عن العالم المتولدة داخليا بالصورة المتجسدة لنا بواسطة وسائل الصور المتحركة،"فحين تشاهد التلفاز تكون جميع قدراتك العقلية لتكون الصورة ساكتة هاجعة مغمورة بالصورة التلفازية على نحو مؤثر بينك وبين الصور الشخصية، يستبدل نفسه أي يحل محل غيره حسبما يشير "جيري ماندر"[16]. وتزداد خطورة ذلك دعائيا في أن فضاءات الصّور التي تختزن في ذاكرة المتلقي عن أحداث وأماكن لم يشهدها ولم يصلها منتقاه من الصّور التلفازية، وبالتالي فإن سلوكه أومواقفه اللاحقة مبنية أيديولوجيا على خزينة من هذه الفضاءات الصورية.
- ✓ أنّ الفضاء الصوري التلفازي بالرّغم من تجسيده المادي للأفكار إلّا أنّ "الصورة التلفازية تؤدي إلى توسيع نطاق حاسة اللّمس أكثر من تجسيده المادي للأفكار وحيثما تصطدم بثقافة أبجدية تمسك بالضرورة المزيج الحسي، بتحويل الامتدادات المجزأة والمتخصصة إلى نسيج واحد متماسك الخبرة"[17]، فالشكل الفسيفسائي للصورة التلفازية يتطلب المشاركة والالتزام العميق للكائن بكل كيانه تماما، مثل حاسة اللّمس، على أنّ إدراك الفضاء التلفازي (كإدراك بصري) من قبل المتلقي يتّسم بالفقر في تحديد سلسلة المعلومات لأنّ ما هو موجود فقير أساسا للمعلومات وهذا ما يجعل"التلفاز قصير النظر"وما يقدمه من ثقافة هي ثقافة فقيرة لايمكن أن ترقى إلى ثقافة الكتاب.
- ✓ أنّ فضاء الصورة كفضاء مجسد لايقتصر على تجسيد الرسالة، وإنما يتجاوز ذلك باتجاه تجسيد خيال المتلقي أيضا، بما بفرضه عليه من شكل أوصورة محددة، تمثل تخيل المرسل لها واختياره لهذا فهو عكس ما يجري في حالة الاستماع حيث تقوم الإذاعة الصوتية بتحرير الخيال وإطلاقه بلا قيود في عالم التفاصيل المرئية التي يخلقها المستمع لنفسه؛ عالم لاحدود له.

وهكذا فإنّ خطورة الخطاب الصوري تنبع من قدرته في استقطاب الانتباه وإخضاع الذاكرة لتأثيرات الاستبدالية (استبدال الصورة التلفازية بالصورة الشخصية للمتلقي) فالذاكرة

ترتبط بالانطباع الصوري، إذ تثير الصور الأركان النفسية الطفلية عند الصغير والكبير معا، وتهيمن النواحي الحسّية على وعينا، كما تثير العقلية الأثرية بدل العقلية الفكرية، وبالتالي يمكن التّأثير على المشاهدين من خلال آليتين نفسيتين هما: (الإسقاط) و(التماهي) ممّا يؤدي إلى تغيير في العلاقة مع الواقع، إذ لعملية التماهي قدرة كبيرة على الإقناع، فالمشاهد يجد نفسه مستسلما لرغبات الصورة مع إزالة مؤقتة للذات وتمجيد لما يحمله موضوع الصورة.

فإذا كان هذا هو أثر التلفزيون لمّا كان محطة محلية تقدم برامج تعتمد كثيرا على الإنتاج لكل دولة، فما بالك وقد أصبح فضاء مفتوحا على عديد من الثقافات والبرامج التي تنتمي إلى بيئات مخالفة، بل ومتناقضة في بعض الحالات مع البيئات التي تستهلكه؛ فقد زاد الخوف، وتعالت الأصوات المنددة بسلبيات الفضائيات التي بدت معظم برامجها تعمل على توطين العجز في النفوس، واستلاب الحياة، والحط من مستوى الرضا عن الذات وقيمة المستقبل لدى المشاهدين.

4. تغيير القيم الاجتماعية

تعرف القيم بأنّها: "مجموعة النظم الأخلاقية السّلوكية للإنسان في داخله الباطني وخارجه الظاهري، تنبع من دينه وحضارة مجتمعه، وثقافته الشخصية، مضافا إلى تربيته الخاصة، وعقيدته في النفس والعالم".

وتنظر الفلسفة إلى القيم على أنّها:"حالة أزلية وغير قابلة للتغير ولا للزوال، والإنسان يدرك هذه القيم من خلال تعامله مع الأشياء التي تحملها من خلال خبرات انفعالية وعاطفية، وكنتيجة لذلك يتشكل ضمير الإنسان، بحيث يحدد له ماالصواب وماالخطأ، وإنّ الخبرة الحياتية لاتصلح للتمييز بين القيم الحسنة والسّيئة بل على الإنسان أن يتجاوز الحياة اليومية حتى يصل إلى الحقيقة"[18]. وهذه النظرة الفلسفية للقيم فيها كثير من الشطط والخيال، فأحكامنا حول القيم قابلة للتغيير، وبالتالي فهي نسبية عموما؛ تقاس بنتيجتها أي بما يعود منها بالخير على الفرد والمجتمع في الموقف الذي تطبق فيه.

فسرعة حدوث التحولات المجتمعية، أوحدوث تضارب بين القيم وبين الواقع المتغير بعوامل مختلفة، سرعان ما تحدث صراعات قيمية، يتمخّض عنها إمّا تذبذب قيمي لدى الأفراد، أو تحولات وتغيرات قيمية كبرى وجذرية. وإنّ التحولات الاجتماعية السّريعة التي شهدها عصر العولمة، وانفجار ثورة المعلومات، وانفتاح السّماوات على كل أصناف القيم الوافدة قد أدّت إلى صراعات قيمية خطيرة في مجتمعاتنا ما زالت تتفاعل إلى اليوم.

إنّ الوافد الأجنبي أثّرت في منظوماتنا القيمية تأثيرا كبيرا،فقد غيّرت القيم الاعتقادية (الدينية) بإحلال ماأسماه روجيه غارودي (عبادة إله الكومبيوتر بدل عبادة الله)، وأثّرت على القيم التربوية بتغيير وتبديل مذاهب ومناهج التربية القديمة المحافظة إلى مذاهب متحررة جدا تناسب عصر العولمة، وجعلت من الذاتية والأنانية بديلا عن كل قيم الضمير، وصبغت القيم الاجتماعية بتغليب مبدأ التحرر والحرية والانفتاح غير المدروس. وغيّرت القيم الفنية والجمالية من الغناء الهادف، والكلمات المترفعة، والتمثيل الراقي الذي يعالج القضايا

الاجتماعية، ويساهم في حل المشكلات الإنسانية في أسلوب أدبي رفيع إلى الغناء والرقص السّوقي الماجن، والكلمات التي لاتحترم الإنسان كإنسان، والتمثيل التجاري الذي يهدف الرّبح، ولايهتم لقيم وأخلاقيات المجتمع ولاقضاياه، ومشكلاته، وغدا الفن المسرحي والإنتاج التلفزيوني والسينمائي، تجارة مربحة تعتمد الجنس والعنف وتحريك الشهوات.

يقول أحد محللي ظاهرة العولمة الإعلامية وثقافة الفضائيات: لقد أنتجت العولمة بديلا عن الأخلاق التي كانت سائدة إلى نهاية عصر الثمانينيات، وبديلا عن القيم الخلقية التي كانت موجودة، إنّها قيم اقتصاد السّوق الحر، التي ترى أنّ الإنسان من أجل أن يملأ رصيد بطاقته الائتمانية التي تتيح له الدفع عليه أن يكسب المال من أي جهة أتى مادام في الظاهر لايخالف القانون بوجه من الوجوه، وهذا الكسب يلغي الضمير(قاعدة القيم الخلقية)، وهو كسب لا معنى للحلال والحرام فيه، فيمكن للإنسان في مبادئ قوانين العولمة أن يعمل في صناعة الجنس (بكل مايتعلق بتجارة الرقيق الأبيض) شرط ألّا يجبر أحد وشرط أن لايستعمل الأطفال في ذلك، وسبب الأول حسب قيم العولمة أنّ الإنسان حر في القبول والرفض، وسبب الثاني هو أنّ إتعاب الطفل يمنعه من الدخول في هذا المجال الكبير[19].

إنّ الفضائيات قد عملت على زرع القيم النفسية والفكرية والثّقافية للقوى المسيطرة في وعي الآخرين، وعلى الأخص أبناء مجتمعاتنا، وفتح هذه المجتمعات وإسقاط عناصر الممانعة والمقاومة والتحصين.. وإعادة صياغة قيم وعادات جديدة، تؤسس لهوية ثقافية وحضارية أخرى لهذه المجتمعات مهددة هويتها الحضارية، وتذهب بعض البحوث إلى أنّ هذه القيم الحضارية الجديدة هي في أغلبيتها العظمى قيم أمريكية؛ كما نشاهدها في الأفلام والمسلسلات، ونطّلع عليها في الكتب والمجلات والصحف، ونسمعها في الغناء الأمريكي، ونرى موضاتها.

وهكذا فإن خطر الفضائيات على القيم هو خطر لايكاد يماثله خطر في باقي جوانب عولمة الإعلام والاتصال، لأن مسخ قيم الإنسان يؤدي إلى جعله(حيوانا غير مفكر)لايهتم بغير الحصول على المال(بكل الطرق)، وإنفاقه (بكل الطرق)، ومابين هذا وذلك يغدو بغير قيم، وبغير عقيدة، وبغير مبادئ وبغير حضارة، إلّا حضارة الصورة التي تبثها الفضائيات، والتي غدت أحد أهم أدوات العولمة الإعلامية، وحقلا رحيبا لممارسة توجهات هذه العولمة أيديولوجيا.

5. زعزعة القيم الأخلاقية والدينية عند الأطفال والشباب

فقد أجريت دراسات عديدة تتناول تأثير الفضائيات على القيم الأخلاقية والدينية كمنظومتين أساسيتين في منظومة القيم الاجتماعية، في عدد من بلدان العالم الإسلامي: كالسعودية واليمن والأردن ومصر وتونس، وحتى بلدان خارج العالم الإسلامي، ومنها:

- دراسة ناصر الحميدي حول"البثّ التلفزيوني المباشر وتأثيره على التربية في المملكة العربية السّعودية"، والتي توصلت إلى أنّ[20]:

- أهداف البثّ التلفزيوني المباشر الرئيسية تتنوع بين أهداف سياسية وعقائدية يجمعها هدف مشترك هو التّأثير في المشاهد، وتأتي بقية الأهداف تابعة له.
- حسب رأي أفراد العينة فإن التّأثير على الجوانب الأخلاقية يأتي في الدّرجة الأولى والتي تمثل أبرز مشكلاتها في الترويج للإباحية والاختلاط والقيم والمبادئ المخالفة للإسلام.
- يأتي بعد ذلك التّأثير على الجوانب الاقتصادية والذي يتمثل في الترويج للمنتجات والسّلع الأجنبية، عن طريق الإعلانات التجارية وخصوصا بين النساء والأطفال.
- يأتي بعد ذلك التّأثير الثّقافي؛ والذي تتمثل أبرز مشكلاته في تدفق المعلومات غير المنتقاة والترويج للأفكار الغربية وتعزيز التبعية للفكر الغربي.
- يأتي بعد ذلك التّأثير على الجوانب العقدية، ومن أهم مشكلاتها تعزيز النزعة المادية على حساب الجانب الروحي والإيمان وإظهار شعائر أهل الكفر،ورموز أديانهم الباطلة وتشويه صورة الإسلام والمسلمين.
- ثم يأتي التّأثير على الجوانب التعليمية والسّلوكية؛ والذي يتمثل في الازدواجية والتشتت بين مايتعلمه الفرد في المؤسسة التربوية، وما يشاهده من برامج عبر قنوات البثّ المباشر، وكذلك الترويج للسلوك العدواني والعنف والإسهام في هبوط مستوى التحصيل الدّراسي.
- وبالنسبة للآثار الاجتماعية فتتمثل أبرز مشكلاتها في إغراء النّساء بتقليد الأزياء الغربية، وربط المشاهد بالتقاليد الاجتماعية الأجنبية والتّأثير على الرّوابط الأسرية.

-وفي الدّراسة التي أجراها اتحاد إذاعات الدّول العربية حول "الانعكاسات الثّقافية والاجتماعية للبث التلفزيوني المباشر على هذه الدّول؛ خلصت إلى أنّ[21]:

- تجمع العينة في مختلف مواقعها على أنّ المشاهدة العائلية في كل الأحوال غير ممكنة، وغير مقبولة نظرا لوجود محاذير أخلاقية ونفسية إزاء ما يمكن تسميته (بالبرامج الجريئة).
- ارتفاع نسبة الإعراض عن مشاهدة البرامج الوطنية بحكم توفر عروض أخرى أكثر إغراء وجاذبية وإمتاعا، وإقناعا، ومن ثمة تهرب العينة من البرامج الوطنية لتلجأ إلى البثّ الأجنبي بحثا عن المتعة والترفيه بدرجة أساسية.
- تجمع العينة في نهاية المطاف وعلى الرّغم من حالة التّأثير هذه، على وجود مسافة بين المستهلك والمضمون الإعلامي الأجنبي الذي لا

يتناسب كثير مع الواقع العربي والمخالف لتعاليم الإسلام وغير المتلائم مع مكونات الواقع العربي.

- وفي دراسة وديع محمد سعيد على(554)طالبا وطالبة بجامعة صنعاء حول البثّ التلفزيوني الفضائي الوافد إلى اليمن وعادات تعرّض طلبة الجامعة له، توصلت إلى أنّ[22]: هناك نسبة عالية من عينة البحث (76%) تقر بوجود برامج تعرضها القنوات العربية والأجنبية لا تتلاءم مع القيم والعادات والتقاليد، وهي نتيجة مقلقة- على حد تعبير الكاتب-لاسيما وأنّ نسبة التعرض للقنوات الفضائية الوافدة يتم بكثافة عالية (71%).

خاتمة:

في دراسة لكل من"Morgan"و"Kang" استهدفت معرفة تأثير التعرض للمواد التلفزيونية الأمريكية على اتجاهات الشباب الكوري في ثلاثة مجالات هي[23]: (أ) أدوار النوع، (ب)القيم الأسرية، (ج) الاتجاهات الثّقافية، أشارا إلى أنّ كثرة التعرّض لهذه المواد، قد أدّت إلى إحداث تحولات حادّة في القيم الكورية التقليدية، لاسيما لدى الفتيات اللاتي أصبحن أكثر تحررا، وأقل تمسكا بالقيم الأسرية السّائدة في كوريا الجنوبية، كما أنّهن أصبحن يرفضن طرق الزواج التقليدية ولايقمن اعتبارا للمعايير الأخلاقية، ويعتقدن أنّ قضاء الوقت في الممارسات الجنسية دون زواج ليس من قبيل العيب أوالشيء غير الأخلاقي، باعتبارها حرية جنسية،كما أنه أصبح لديهن ميل نحو ارتداء الملابس الأمريكية مثل "الجينز" والاستماع إلى موسيقى"الروك أندرول"، وينظرن إلى الكونفوشيوسية"الديانة السّائدة في كوريا" باعتبارها عقيدة غير ملائمة، وعلى العكس من ذلك ارتبط التعرّض للمواد التلفزيونية الأمريكية من جانب الفتيان بالاتجاهات التقليدية المحافظة لديهم، فالأكثر تعرضا أكثر كراهية للولايات المتحدة، وأكثر تمسكا بالثّقافة الكورية، وقد علّل الباحثان ذلك بأنّ التعرّض لهذه القيم الغربية"الأمريكية" وأعرافها قد يؤدي أحيانا إلى حدوث تأثيرات عكسية، تخلق موقفا مناهضا لهذه الثّقافة المستوردة، ومعارضا لها ومؤكدا على ثقافته القومية، وواعيا بها، ومرتبطا بعناصرها.

وإنّ هذه الآثار قد تؤدي إلى فقدان الانتماء لدى الشباب خاصة، وإلى أزمة أخلاقية، وغربة ثقافية، تنتج فئة نخبوية تعيش في المجتمع منقطعة الجذور، وتبقى فئة ثانية ذات ثقافة شعبية غريبة عن عصرها، وعاجزة عن تجديد ثقافتها، وتوسيع أفقها أخلاقيا ودينيا، الأمر الذي يفجر صراعا اجتماعيا بين فئة المثقفين الذين لا يعترفون إلّا بالنمط الغربي في الحياة والفكر، وفئة أخرى لا تعترف إلّا بالتقاليد التي ربما فاتها الزمن، ولم تعد صالحة لعصرنا هذا، وينتج عن ذلك، أزمة نفسية أخلاقية، وعدم استقرار نفسي، ويولّد ذلك كله صراعا مريرا داخل المجتمع الواحد.

لذلك صحيح أننا قد نكون استهلكنا جهودا كبيرة وكثيرة في دراسة ظاهرة العولمة وتداعياتها على المجلات المجتمعية الحيوية؛ السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثّقافية، لكن نؤمن علميا أن الدّراسات اللاحقة لهذه الموجة المحمومة في تناول الظاهرة ومناقشتها ستؤسس لتراكمات معرفية من شأنها أن تؤصل للحديث الجادّ والعميق من أجل قواعد علمية في بناء العلوم الإنسانية، وتناول القضايا والمشكلات الاجتماعية المعاصرة، وهو المنطلق الذي اعتمدته دراستنا**"الوافد الأجنبي عبر الفضائيات ودوره في نشر القيم المعولمة "**، والمنتهى الذي رمت الوصول إليه لتبرز المظاهر والمرتكزات التي تستند إليها القيم المعولمة في اجتياح المجتمعات المعاصرة خاصة المغلوبة على أمرها؛ المستهلكة لمعلبات الثّقافات المهيمنة والمسيطرة على إدارة سوق العولمة التجاري، تتقدمه الشركات متعددة الجنسات، ووسائل ووسائط الإعلام والاتصال الجديدة مستندة في ذلك إلى فلسفات العولمة الإعلامية والاقتصاد الحر والتجارة الدولية، وحوار الثقافات والحضارات.

إننا وإذا نؤشر على هذه المرتكزات فإننا نسعى إلى أن نخندق أنفسنا إلى جانب القرارات السّياسية، والأفكار العلمية النيرة، والتّحركات الشّعبية الواعية لبناء الحصون المنيعة في وجه التّحنيط والتّنميط لثقافات وخصوصيات الشّعوب والأمم الذي تسعى"القيم المعولمة" إلى تحقيقه، ومن ثم تحقيق رغبات المسير لآلياتها في الهيمنة والسّيطرة على الشّعوب والثّقافات.

الهوامش

1. - يحي اليحياوي: في العولمة والتكنولوجيا والثّقافة؛ مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة(بيروت: دار الطليعة، ط(1)، 2002م)،ص (175).
2. - صموئيل هنتنغتون: صدم الحضارات، ترجمة: طلعت الشايب(كتاب سطور(2)، ط(2))، ص (26،27).
3. - عواطف عبد الرحمن: الإعلام الغربي وقضايا العولمة(القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1999م)، ص(17).
4. - حلام الجيلالي: "العولمة والهوية الثّقافية "، في فعاليات الملتقى الدولي"الجزائر والعولمة "، ص (115،116)
5. - للمزيد انظر: David Held:"Democracy,The Nation –State and the global System",in: David Held :political theory today(cambridge:polity press,1991)
6. - أحمد الرشيدي: التطورات الدولية الراهنة ومفهوم السيادة الوطنية(القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، 1994م)، ص (20).
7. - هادي الهيتي:"الاتصال التلفزيوني الفضائي الوافد واحتمالات تأثيره السياسي في الوطن العربي"؛ في كتاب: العرب والإعلام الفضائي، لمجموعة باحثين(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط(1)، 2004 م)، ص(65، 66).
8. - Baudouin.j:Introduction a la Science Politique (Paris:Mementos Dalloz,1989) p(27).

9. - ممدوح محمود منصور: العولمة؛ دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد،(الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، 2003م)، ص(98).
10. - إياد شاكر البكري: عام 2000 حرب المحطات الفضائية(عمان: دار الشروق، ط(1)، 1999)،ص(256)، وحاتم بن عثمان: بؤس العولمة، (تونس: مركز النشر الجامعي، د. ط، 2003م)، ص(40).
11. - ماري وين: الأطفال والإدمان التلفزيوني، ترجمة: عبد الفتاح الصبحي(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1999م)، ص(38).
12. - نقلا عن جليل وديع شكور: العنف والجريمة (بيروت: الدار العربية للعلوم، ط(1)،1997م)، ص(65).
13. - إبراهيم إمام: الإعلام الإذاعي والتلفزيوني(الكويت: دار الفكر العربي،1995م)، ص(252،253).
14. - رجاء أحمد آل بهيش: سيمياء الخطاب الدعائي،(رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ، كلية الآداب، 1998م)، ص (306). ومؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية،(عمان: دار الأهلية للنشر، الطبعة الأولى، 2002م)، ص(242،243).
15. - نقلا عن مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية، ص(242).
16. - كاظم سعد الدين(ترجمة):"استبدال الصورة البشرية بواسطة التلفزيون"، الثّقافة الأجنبية،ع(4)، 1992م، ص(145-156).
17. - هربرت ماركوز:"غزو الوعي البائس؛ اللاتسامي المكبوت، ترجمة: مي جبران، ونسيم خوري، مجلة الفكر العربي المعاصر (شهرية تصدر في طرابلس، ليبيا)، ع(35)، حزيران، 1985م، ص(30-34).
18. - محمد عبد العزيز محمد: الأخلاق والقيم (جدّة: ط(1)،1417ه)، ص(87،88).
19. - شهلا علي: العولمة والأخلاق(بيروت: المؤسسة الثّقافية، ط(1)، د.ت)، ص(17).
20. - ناصر الحميدي: البثّ التلفزيوني المباشر وتأثيره على التربية في المملكة العربية السعودية،(1993م)، نقلا عن: وديع محمد سعيد: البثّ التلفزيوني الفضائي الوافد إلى اليمن، وعادات تعرض طلبة الجامعة له؛دراسة ميدانية على طلبة جامعة صنعاء، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد ،(1998م)، ص(43).
21. - اتحاد الإذاعات العربية: الانعكاسات الثّقافية والاجتماعية للبث الأجنبي على عينة من الجمهور العربي تونس، الأردن، مصر)، 1996م.
22. - وديع محمد سعيد: البثّ التلفزيوني الفضائي الوافد إلى اليمن، وعادات تعرّض طلبة الجامعة له، ص(215،216).
23. - Kang .J and Morgan .M:Culture Clash ,Impact Vol (65),N(2), (1) of US.A Television in Korea Journalism Quarterly1990,p(431-438